تـجـارة المـلـح في السـودان الغربــي من القرن الخامس الهجري حتى القرن العاشر الهجري

م.د. فرح مصطفى قاسم حسن الموسوي

farah.m@cois.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد ، كلية العلوم الإسلامية

ملخص البحث

يهدف البحث الى التعرف على اهم مصادر التجارة في السودان الغربي وهي مادة الملح ودور مدن الصحراء في اتساع وانتشار هذه التجارة لاسيما الحاجة الماسة للملح في السودان الغربي وذلك للحاجة الشديدة اليه من قبل سكان هذه المناطق فكلما توغلنا داخل أراضي السودان الغربي كلما زادت الحاجة الماسة اليه وغلى ثمنه الى اضعاف لقلة توافره في السودان الغربي بشكل عام لكون الصحراء تشكل جزء كبير منها إضافة الى ارتفاع درجات الحرارة بشكل كبير، لذا تضمن البحث نقاط واضحة وبسيطة عن موقع بلاد السودان الغربي واهم مناطقها التجارية واشهر القبائل التجارية التي احتكرت هذه التجارة ،كذلك المناطق التي تواجدت بها الملح وأنواع الملاحات في السودان الغربي وكيفية استخراجه من الأرض وطرق نقله .

الكلمات المفتاحية : الملح ، السودان الغربي ، جاو ، أودغست.

Salt trade in western Sudan from the fifth century AH until the end of the tenth century AH

Inst.Prof. Farah Mustafa Qasim Hassan Al-Moussawi

farah.m@cois.uobaghdad.edu.iq
University of Baghdad, College of Islamic Sciences

Abstract

The research aims to identify the most important sources of trade in Western Sudan, which is salt, and the role of desert cities in the expansion and spread of this trade, especially the urgent need for salt in Western Sudan. This is due to the intense need for it by the residents of these areas. The more we penetrate into the territory of Western Sudan, the more urgent the need for it increases and the more expensive its price is due to its lack of availability in Western Sudan in general. Because the desert constitutes a large part of it, in addition to the significantly high temperatures, the research included clear and simple points about the location of Western Sudan, its most important commercial areas, and the most famous trading tribes that monopolized this trade, as well as the areas where salt was found, the types of salt pans in Western Sudan, and how to extract it from it. Land and method of transporting it.

Keywords: salt, Western Sudan, Java, Awdagust.

المقدمة:

كثير منا من يجهل تاريخ بلاد السودان رغم عراقته وجذوره الضاربة في القدم اذ ظهرت به ممالك وامبراطوريات منذ فجر التاريخ ويقسم بلاد السودان الى ثلاث أجزاء لا يقل جزء عن الاخر في الأهمية وهذا يدل على اصالة هذه البلاد.

فالقسم الشرقي يشمل الحوض الاعلى والاوسط لنهر النيل وروافده جنوب بلاد النوبة وهي اول أمم السودان ،اما السودان الاوسط فيمتد شرقا من بحيرة تشاد الى ثنية نهر النيجر في الغرب ،والسودان الغربي يمتد من ثنية نهر النيجر شرقا الى المحيط الاطلسي غربا، وهذا القسم ظهر بشكل واضح لدى الجغرافيين في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي.

في هذا البحث الذي يخص أهمية الملح في السودان الغربي تكلمنا عن السودان الغربي ثالث قسم من بلاد السودان الذي ظهرت به عدد من الممالك القوية التي كونت علاقات تجارية كبرى مع دول الجوار بفضل ما تمتلكه من العديد من الثروات من أهمها الذهب والعبيد اذ كانا اهم سلعتين استخدمتها لشراء والمقايضة بهما مقابل الحصول على الملح .

اذ قسمت البحث الى عدة نقاط تكلمت في الأولى عن الملح بصورة عامة والثانية التعريف بالسودان الغربي واهم الدول التي قامت به ثم النقطة الثالثة تكلمت بها عن اهم المراكز التجارية التي كان لها دور كبير في تجارة الملح وبعد ذلك انتقلت الى صلب الموضوع النقطة الرابعة هي أهمية الملح في السودان الغربي ومدى حاجة السكان اليه وبعدها انتقلت الى طرقه نقله وكانت تستخدم فيه الجمال والسفن ثم طرق استخراجها التي لم تشر اليها المصادر بطريقة واضحة ومفصلة سوى انه يوجد في السودان الغربي نوعان من الملاحات عامة وخاصة بالملك وان القائمين على هذه التجارة هم بربر وعرب ولم يمارسها الافريقي الا بعد القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي ،ثم خاتمة البحث وقائمة للمصادر والمراجع .

ان الصعوبة في كتابة البحث هو المعلومات الدقيقة لم تكن عند المصادر الاصيلة وانما في كتب المراجع التي لا تقل أهمية عنها لان مصادرنا تكلمت عن الجوانب السياسية اكثر كما ان بلاد السودان لم يكن لها الحظ الوافي في المصادر العربية لذلك نجد المعلومة الوفير عند المراجع العربية التي اعتمدت على المستشرقين او الكتب المترجمة لان اكثر من تناول دراسة تاريخ افريقيا جنوب الصحراء هم البرتغاليون والفرنسيون الذين احتلوا بلاد السودان منذ نهاية القرن الثامن الهجري إذ لم تعدُ كتاباتهم عن كونها يوميات لهم في هذه الارض ومشاهداتهم فيها ومن أهمها مارك كيرلانسكي تاريخ الملح في العالم وكتاب أسماء فرجاني تجارة القوافل بين بلاد المغرب وافريقيا جنوب الصحراء خلال القرن 19م وغيرها في هامش البحث فكانت عون لي في كتابة البحث .

أولا: الملح:

عرف الملح بانه الصخرة الوحيدة القابلة للاكل من قبل الانسان استخدم على مر العصور في الاكل وحفظ الطعام وكسلعة تجارية مهمة جدا تساوي وزنها ذهب في بلاد السودان (كيرلانسكي، 2005م، صفحة 8)

فقد اعتبر العبرانيون القدماء ان الملح رمز للعهد بين الله وبني أسرائيل وعرف في التوراة في سفر الأرقام يرد بأنه ميثاق بالملح يرد امام الله ، ويرد الامر نفسه في سفر المدونات بأن أله أسرائيل أعطى تلك المملكة لداوود ولأبنائه من بعده والى الابد بميثاق الملح وفي ليلة الجمعة يغمر خبز(يقصد الطعام) السبت بالملح حفاضاً له (كيرلانسكي، 2005م، صفحة 12)

كما ان المسيح اخبر اتباعه بانهم ملح الأرض وقد استخدمت الكنيسة الملح في التعميد وانها ربطت الملح مع الحياة المديدة والبقاء والمعرفة والحكمة وكانت الكنيسة الكاثوليكية تهب الملح المقدس المعروف بملح الحكمة (كيرلانسكي، 2005م، صفحة 14)

ثانيا : السودان الغربي:

أطلق الرحالة والجغرافيين العرب المسلمون على الاقوام التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى من بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) غربا الى بحر القلزم (البحر الأحمر) شرقا بلاد السودان وهذه التسمية مستوحاة من لون البشرة السوداء كما ان هذه التسمية أطلقت عليهم لكي يميزونهم عن الامازيغ سكان شمال الصحراء (المغرب العربي) (الهمذاني، 1302هـ/1884م) ، صفحة 72) اما تسمية افريقيا جنوب الصحراء فقد أطلقها عليهم المستشرقون.

وقد قسم بلاد السودان الى ثلاث اقسام قسم شرقي وقسم أوسط اما عن موضوع دراسة فهو القسم الثالث والأخير السودان الغربي ويقصد به المنطقة الغربية لبلاد السودان الممتدة من نهر النيجر شرقاً وحتى المحيط الأطلسي غرباً ويحده من الشمال الصحراء الكبرى ومن الجنوب الغابات الاستوائية (اليعقوبي(ت292هـ/904م)، 1420هـ /1999م، صفحة 192) قامت به ثلاث ممالك كان لها دور كبير في نشر الإسلام الاولى مملكة غانة ((الحميري، 1980م، صفحة 134)؛ (الناصري، (1376هـ/1956م)، صفحة 152)ولا يعرف بالضبط تاريخ قيامها يرجح الى القرن الرابع الميلادي وان الإسلام وصل لها في القرن الرابع الهجري وتعرف بأرض الذهب وملكها ملك الذهب ((البكري، (1413هـ/1992م)، صفحة 871)).

اما الدولة الثانية فهي دولة مالي((باري، 2007م.، صفحة 89)) وهي اقوى واغنى الدول الافريقية التي ظهرت في السودان الغربي (636. 886هـ/1238-1481م) وتعرف باسم مليل او ملل (نيان، 1409هـ/ 1988م، صفحة 195)) والثالثة صنغاي((الوزان، (1404هـ/1983م)، صفحة 163)؛ (نيان، 1409هـ/ 1988م، صفحة 23).

أُسست هذه الدولة في إقلم جاو في السودان الغربي (1000.777هـ/1375-1591م) بعد سقوط مملكة مالي (السعدي، (1384هـ/1964م).، صفحة 23) .

ثالثا : المراكز تجارية المهمة في السودان الغرب:

1. مدينة تنبكتو تأسست في القرن 5هـ /11م من قبل قبل قبائل مغربية تسمى الطوارق)خلدون1409 ,هـ1988/م(22 .p , بينما يشير الحسن الوزان((الوزان، (1404هـ/1983م)، صفحة 165) الى القرن 7هـ /13م الى تأسيس هذه المدينة ويشير الى الذي قام ببنائها هي منسا سليمان ومنذ تأسيسها اصبح اقوى مركز تجاري تلتقي فيه تجارة الشمال الافريقي مع الجنوب الافريقي وتتم على ارضها المبادلات والصفقات التجارية وبموقعها على نهر النيجر المطل على المحيط الأطلسي تكون البلدة الوحيدة التي تتحكم بالطرق البرية والنهرية وقد اطلق عليها الاوربيون بانها مدينة صعبة المنال غامضة الاسرار لا يوجد بلد افريقي بجمالها ولا يتجاوزها أي بلد افريقي بملحها وذهبها لا يوجد لها مصدر للثروة عدا تجارة الملح والذهب) حوتية2007 ,م(145 .p ., . .

2. مدينة غاو او جاو من المراكز التجارية المهمة في السودان الغربي تقع على منحنى نهر النيجر تاتيها البضائع المختلفة من الشمال الافريقي وبلاد اوربا وهي أكثر بلاد السودان ذهباً والسلع التجارية الرئيسية بها هي الملح الذي يأتيها تغازة (كاربخال، (1405هـ/1984م).، صفحة 26) .

3. مدينة جنى تقع غرب تمبكتو تاسست في القرن 3هـ /9م محاطة بسور له ثمانية أبواب اغلب سكانها تجار ويأتي اليها العديد من التجار قال عنها السعدي (السعدي، (1384هـ/1964م).، صفحة 12)" هي سوق عظيم من أسواق المسلمين " .

4. أودغيست أسست في القرن 2هـ /8م وهي مدينة كبيرة أهلة رملية تعتبر من الأسواق الكبيرة التي يكثر فيها البيع والشراء اذ أصبحت مركز تجاري هام في كل الارجاء الصحراوية ترد الى أسواقها مختلف البضائع (فرجاني، 2017، صفحة 61).

5. مدينة ايوالاتن وهي عبارة عن مدينة صغيرة خاملة ليس فيها عدد كبير من المساكن سوى ثلاث قرى كبيرة وأكواخ متفرقة بدأ تحتل مكانة تجارية مهمة بعد قيام مملكة مالي وضمتها الى حدودها فأتجهت اليها القوافل وأرتبطت بعلاقات تجارية مع تنبكتو وبافي المراكز (الدالي، (1409هـ/ 1988م).، صفحة 31).

رابعا : أهمية المـــــلح في السودان الغربي:

وقد أشار الدالي (الدالي، التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء، (1409هـ/ 1988م)، صفحة 324) الى ان الملح مادة نادرة في بلاد السودان الغربي يبدل وزنها ذهباً، كما ان كذلك من المعروف ان الناتج عن التجارة ليس فقط تبادل مواد لكن أيضا تأثير بالافكار والاعتقادات ومن المعروف ان شعوب بلاد السودان بصورة خاصة يقدسون الروحية الموجودة فيما حولهم اذ نشأة لديهم الكثير من هذه المعتقدات من خلال هذا الجانب فالمعروف ان للملح قدسية خاصة في الديانات السماوية كما ذكرنا كذلك له قدسية لدى الشعوب المصرية للملح أهمية روحية تستخدم لتحنيط موتاهم فهم ينظرون الى جسد الميت بكونه وعاء يحمل الروح الى الحياة الأبدية فلابد من الحفاظ على هذا الوعاء ليصل تلك الروح الى مكانها النهائي فاستخدموا ملح (كيرلانسكي، 2005م، صفحة 12) ،القوافل التجارية الواردة الى السودان الغربي كانت تشتري العبيد بقطعة ملح اذ كان ثمن العبد الواحد قطعة ملح لا تزيد عن حجم رجله (عثمان، 2000م.، صفحة 95).

كما استعمل الملح في مدن عديدة في السودان الغربي كسلعة للمقايضة في عملية البيع والشراء فكانت قوافل بلاد الشمال الافريقي تبيع جزء من بضائعها بالملح الذي تأخذه الى أفريقيا جنوب الصحراء اذ ان حمولة البعير الواحد من الملح يصل ثمنها الى عشرة مثاقيل من الذهب وقد تتجاوز ذلك بكثير اذ قد تصل في بعض الأحيان الى الأربعين مثقالاً من الذهب الافريقي الخالص وضلت أسعار الملح في بلاد السودان ترتفع الى ان وصلت حمولة البعير الواحد من الملح الى ثمانين مثقالاً من الذهب (زبادية، د. ت، صفحة 98) .

ولندرة الملح في السودان الغربي نجد ان المصادر التي ذكرته تكلمت عنه كونه عملة نادراً جداً تاتي بالمرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد الذهب فقد استخدم في التجارة وتبادل السلع وفي البناء والمقايضات وفي الطعام فقد أشار الكثير من المؤرخين الى هذه الأهمية منهم الوزان (الوزان، (1404هـ/1983م)، صفحة 280) فيقول " ويكثر جداً في بلاد البربر(شمال افريقيا) ولا وجود له في بلاد السودان وأهلها يمسكون بقطعة الملح بيدهم فيلحسونها مع كل مضغة حتى لا يستهلكوه بكثرة".

اما القزويني (القزويني، 1426هـ/2005م).، صفحة 25) يقول " والملح بأرض السودان عزيز جداً والتجار يجلبونه من تغازة الى سائر بلادهم يباع كل وقر بمائة دينار"

خامسا : مناطق الملح في السودان الغربي:

المناطق الداخلية الوعرة اذ كلما توغلنا داخل الودان الغربي يرتفع سعر الملح وذلك لعدة أسباب منها:

1. بعد مناطق استخراج الملح عن المناطق الداخلية.
2. المشقة التي يعاني منها مستخرجي الملح أضافة الى مخاطر الطريق.
3. الحاجة الماسة والضرورية لاهل الجنوب للملح فهم يحتاجون الملح لتعويض اجسامهم عن ما يفقدونه من الملح اثناء التعرق الزائد وذلك بوضعه في الطعام كما يستخدمونه في علاج بعض الامراض ، وقد اثبتت الدراسات الانثروبولوجية ان حاجة جسم الانسان وبالأخص الانسان الأسود الى الملح تفوق حاجة الانسان الأبيض لذلك لايعوضه الملح المستخرج من النباتات لانه يعرق اكثر من الانسان الأبيض فيحتاج الى ما يعوض جسمه. إعطاء الملح للحيوانات لتعويضها عن غياب النباتات المالحة .
4. يستخدم كعملة مقبولة في كل الأسواق حيث يقطع الى وحدات صغيرة وتستطيع ان تشتري به ما تريد من بضائع وسلع (فرجاني، 2017، صفحة 124).

الصحراء

اما البكري (البكري، (1413هـ/1992م)، صفحة 871) تحدث عن الملح بقوله "ومن غرائب تلك الصحراء معدن ملح بينه وبين سجلماسة مسيرة عشرين يوماً تحفر عنه الأرض كما تحفر عن سائر المعادن والجواهر ويوجد تحت قامتين او دونهما من وجه الأرض ويقطع كما تقطع الحجارة ... ويتجهز بالملح الى سجلماسة وغانة وسائر بلاد السودان والعمل فيه متصل والتجار اليه متسايرون وله غله عظيمة " .

فيتبين من ذلك ان أهمية الملح لبلاد السودان الغربي لاتقل أهمية عن اهتمام العالم بالذهب وكان يحمل من الصحراء الى مراكز التجارة الكبرى في السودان الغربي ومنها يوزع الى المناطق الداخلية (غيث، د.ت.، صفحة 126).

وقد أشار الكثير من الرحالة الى حاجة بلاد السودان للملح وأشار ابن بطوطة (بطوطة، 1417هـ/1996، صفحة 441) الى هذه الأهمية بقوله " وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطع ويتبايعون به"

لذلك نجد ان الملح هو السلعة الوحيدة المتفق عليها من قبل المؤرخين التي يدفع السودانيون الكثير في سبيل الحصول عليه (التكتيك، 1998م، صفحة 173)؛ (الرحمن، 10 أبريل 2019م، صفحة 153).

لم تحدد المصادر تاريخ هذه التجارة لكن ان الراجع كانت هذه التجارة موجودة قبل وصول العرب الى بلاد البربر(الشمال الافريقي) فالعربات الرومانية كانت في الالفية الأولى للميلاد تربط ضفتي الصحراء بين المغرب الأقصى وبلاد غانة (عميرة، 2008م.، صفحة 123).

وكانت هذه التجارة بين القبائل البربرية المنتشرة في الصحراء فلا توجد منتجات زراعية ولا صناعية فيبقى الملح هو السلعة الوحيدة التي يصدرها المغرب العربي الى بلاد السودان مقابل الذهب وهذا يفسر كثرة الذهب الذي عثر عليه العرب المسلمون في بلاد السوس (الحميري، 1980م، صفحة 234) اذ حصل حبيب بن ابي عبيدة سنة 116هـ /734م على كمية معتبرة من الذهب فقد ذكر ابن الحكم (الحكم، (1994م).، صفحة 122) هذه الغزوة " ان عامل الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك عبيد الله بن الحباب الذي تولى مهام عمله

116هـ قد استعمل ابنه على السوس الذي ارسل حملة بقيادة حبيباً بن ابي عبيدة الفهري الى السوس وارض السودان فظفر بهم ظفراً لم يرى مثله وأصاب ماشاء من الذهب ".

جزيرة اوليل (المغربي، (1390هـ/1970م).، صفحة 91)

مصدر جداً مهم لتزويد السودان الغربي بالملح ، اذ تحمل منها مراكب الملح الى مصب نهر السنغال الذي يبعد عنها مسافة يوم كامل من الإبحار فيصل الملح الى غانة عن طريق اوغست (الادريسي، (1410هـ/ 1989م).، صفحة 31).

سادسا : طـــــرق نـقــلــه:

يوجد في السودان الغربي مناطق متوفر بها الملح وان التجار العرب والطوارق هم من احتكر مهمة نقله والمتاجرة به فكان الملح ينقل أساساً من شمال دولة مالي الى جنوب السودان الغربي من مدينتي بلما ومن تاودني وكان تزويد السكان بالملح يعتبر من اختصاص السلطان او وكيله حصراً وهو عمل يستحق الاحترام والتقدير نظراً لأهمية الملح البالغة منذ ذلك الزمان كما شكل الملح السلعة الأساسية التي حملتها القوافل العابرة للصحراء وشكل اهم المبادلات التجارية وحافزاً اقتصادياً بلغة فيه مملكة مالي ذروة رخائها الاقتصادي فبصورة عامة كل من كان يسيطر على تجارة الملح كان يتحكم أيضًا في تجارة الذهب (محجوبة، 2021/6/6م.، صفحة 297).

واكثر المدن ملحاً في السودان الغربي مدينة تغازة التي كانت عبارة عن منجم ملح تتطلع اليه كل بقاع السودان الغربي حيث تصدر منه كميات كبيرة الى مدينة تنبكتو وينقل الملح في شكل ألواح كبيرة ليس في وسع البعير حمل الا أثنتين منها لشدة ضخامتها (باري، المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة، 2007م.، صفحة 99)؛ (الكشاط، 1989.، صفحة 79).

وقد وصف لنا (القلقشندي، (د.ت)، صفحة 279) مدينة تغازة وهي قرية لا خير فيها، ومن عجائبها أن بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح وسقفها من جلود الجمال ولا شجر بها، إنما هي رمل فيه معدن الملح يحفر عليه في الأرض فيوجد منه ألواح ضخام متراكبة كأنها قد نحتت ووضعت تحت الأرض تحت الأرض يحمل الجمل منها لوحين ، ولا يسكنها إلّا عبيد مسّوفة الذين يحفرون على الملح، ويتعيّشون بما يجلب اليهم من تمر درعة وسجلماسة، ومن لحوم الجمال ويصل السودان من بلادهم فيحملون منها الملح، ويباع الحمل منه بايوالّاتن بعشرة مثاقيل إلى ثمانية ، وبمدينة مالي بثلاثين مثقالا إلى عشرين وربّما انتهى إلى اربعين مثقالا وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة، يقطعونه قطعا ويتبايعون به. وقرية تغازّة على حقارتها يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التّبر.

اما البكري (البكري، (1413هـ/1992م)، صفحة 887) فقد ذكر لنا عند التكلم عن بلاد السودان " ومن غرائب تلك الصحراء معدن ملح على يومين من المجابة الكبرى وبينه وبين سجلماسة مسيرة عشرين يوما، تحفر عنه الأرض كما تحفر عن سائر المعادن والجواهر، ويوجد تحت قامتين أو دونها من وجه الأرض وتقطع كما تقطع الحجارة، ويسمّى هذا المعدن تاتنتال وعليه حصن مبني بحجارة الملح، وكذلك بيوته ومشارفه وغرفه كلّ ذلك ملح، ومن هذا المعدن يتجهّز بالملح إلى سجلماسة وغانة وسائر السودان ، والعمل فيه متّصل والتجّار إليه متسايرون وله غلّة عظيمة".

يتم نقل الملح عبر قوافل الجمال وبالقوارب على طول الأنهار مثل النيجر والسنغال ، الى ان يجد طريقه إلى المراكز التجارية مثل تمبكتو ، حيث تم إما إرساله جنوبًا أو استبداله بسلع أخرى مثل العاج والجلود ، أيضا النحاس والحديد والحبوب كما ان الملح الموجود بالسودان الغربي لم يكن بالمستوى المطلوب مثل ملح شمال افريقيا فملح السودان الغربي اما يكون من الأحواض التي تعرضت للتبخر أو من مياه البحر ، لكن ملح البحر لم يكن ذا أهمية أو الملح المشتق من رماد النباتات المحترقة مثل الدخن والنخيل كما اعتبرت بلاد السودان هي المصدر الطبيعي الرئيسي للملح الصخري ، إما المكتسب من الرواسب السطحية الناتجة عن عملية التجفيف مثل الموجودة في قاع البحيرات القديمة أو المستخرجة من مناجم ضحلة نسبيًا حيث يتشكل الملح بشكل طبيعي ويتحول إلى ألواح. كان لون هذا الملح رمادي وهو أفضل بكثير من مصادر الملح الأخرى (كيرلانسكي، 2005م، صفحة 41)

تم تحميل الألواح الملحية على الجمال ، وكان كل حيوان يحمل كتلتين يصل وزن كل منهما إلى 90 كيلوغرامًا. يمكن أن تتكون قافلة الجمال من 500 إلى عدة آلاف من الجمال هذه الممارسة بدأت وبشكل متزايد منالقرن الثالث الىالقرن الثامن الهجري/ القرن التاسع إلى

القرن الثاني عشر الميلادي. عندما تصل القوافل إلى مركز تجاري أو مدينة رئيسية في منطقة السودان ، يتم تبادلا لملح مقابل البضائع لإعادتها عبر الصحراء في رحلة العودة ، وعادة ما تشمل هذه الأحمال الذهب والجلود والعاج، أما المناطق الداخلية في غرب افريقيا فكان يتم نقل الواح الملح بالقوارب على طول الأنهار مثل نهري النيجر والسنغال وروافدهما ثم يقطع إلى قطع أصغر ويحمله الحمالون على رؤوسهم إلى وجهته النهائية القرى الداخلية (كيرلانسكي، 2005م، صفحة 40)

وقد ذكر لنا البكري (البكري، (1413هـ/1992م)، صفحة 874) عند التكلم عن مدينة غانة أن ملكها يفرض ديناراً من الذهب عند إدخاله الى البلاد ودينارين من الذهب عند إخراجه .

وقد كان الملح من اهم سلع التجارة الصامتة في السودان الغربي اذ انهم من أمم السودان الداخلة اذ كان التجار الغرباء يصلون الى منطقة معينة يقومون بقرع طبولهم من اجل التجارة مع السكان الذين كانوا مجردين من الملابس يعيشون تحت الأرض يشتغلون في التنقيب عن الذهب وكان هؤلاء السكان يتجنبون وجهاً لوجه أمام التجار الغرباء اذ يضع التجار سلعهم ومن أهمها الملح ثم يتراجعون مختفين بعد ذلك يحضر السكان لمعاينة السلع فان ارتضوا بها قاموا بوضع مقدار من الذهب جوار كل كومة ثم العودة الى أماكنهم ثم يعود التجار فان ارتضوا بكمية الذهب التي تركها السكان قاموا بقرع الطبول لابلاغهم ان المقايضة تمت بنجاح (الطحاوي، 2016م.، صفحة 69).

وقد أشار القلقشندي (القلقشندي، (د.ت)، صفحة 280)الى هذه التجارة بقوله " جاء التّجّار بالملح وضعوه ثم غابوا، فيجيء السّودان فيضعون إزاءه الذهب، فإذا أخذ التجّار الذهب، أخذ السّودان الملح"

اما نقل ملح اوليل فكما أورده الادريسي (الادريسي، (1410هـ/ 1989م).، صفحة 32) لنا "ان المراكب تحمل من جزيرة أوليل الملح الى مصب نهر النيل (السنغال) الذي يبعد مقدار يوم يواصل السير الى المدن سلى وتكرور وبريسي وغانة وسائر بلاد ونقارة وكوغة وجميع بلاد السودان "

لا يعرف عدد المراكب والقوافل التي تصل الى اودغست لكن يرجح ان تكون اعدادها كبيرة جداً وبالأخص عندما يكون وصولها من الصحراء ليس اوليل فقط ويعرف هذا التجمع ب (الازالاي) أي تجمع الجمال باللغة السودانية ومرتين في السنة مرة في فصل الربيع ومرة في فصل الخريف ويبدو ان هذه التجارة كانت حكر على المسلمين والبربر الطوارق لان المصادر لم تذكر أي نشاط للسودان عن هذه التجارة اول من ذكرها هو ابن بطوطة (بطوطة، 1417هـ/1996، صفحة 144)"وصل السودان الى تغازا لحمل ملحها".

سابعا: طرق استخراجه:

لم تذكر المصادر التي تكلمت عن معدن الملح عملية استخراجه لكنها ذكرت لنا ان في السودان الغربي نوعان من الملاحات ملاحات عامة يمتلكها أصحاب المنطقة التي يوجد بها الملح ويأخذ عليه السلطان خراج عند بيعها للتجار والنوع الثاني ملاحات ملك للسلطان ولا يباع ملح أي تاجر الا بعد بيع ملح السلطان (الدالي، التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء، (1409هـ/ 1988م).، صفحة 287).

كما ان القائمين على استخراج الملح في السودان الغربي في تغازا كانوا من عبيد مسوفة (السعدي، (1384هـ/1964م).، صفحة 29) ؛ (التكتيك، 1998م، صفحة 42) حيث ذكر ذلك الوزان (الوزان، (1404هـ/1983م)، صفحة 108) بقوله " يستخرج الملح من حفر تحيط بها اكواخ عديدة يسكنها المستخدمون لاخراج هذا الملح وليسوا من سكان البلدة ،هم من أصل أجنبي يأتون مع القوافل ويقيمون كمنجمين يستخرجون الملح ويحتفظون به حتى تأتي القافلة وتشتريه منهم "

لقد كان بربر مسوفة يبيعون الملح نيابة عن أسيادهم فيأخذون من أثمانه ما يسد حاجتهم اليومية ويحتفظون بالباقي لاولئك السادة ولاشك بان الوضع كان مشابه لبقية السباخ الأخرى وكانت الوسيلى الأساسية لقياس لوح الملح تتمثل بالشبر اذ يقدرونها بالشبر فيقولون خمسه أشبار في طول كل لوح منها وثلاثة أشبار في عرضه وفي الغلظ على الوسط لا رقيقة جداً ولا غلظ على المتعارف بينه في الغلظ والرقة (الحسين، 2007م، صفحة 189)

الخاتمـــــة:

عرف عن تاريخ بلاد السوان بشكل عام من شحة المصادر الموثوقة فان اغلب ما وصل الينا لم يكن مدون فأعتمدوا على الرواية الشفهية في غياب المؤلفات عنها أضافة الى ذلك ان المعلومات التي وصلت مدونة كانت عبارة عن يوميات لمستعمرين برتغاليين وانكليز سجلوا بها مشاهداتهم اليومية لذلك نجد في كثير من الجوانب نقص في المعلومات او قد يكون هنالك تضارب بها بحكم اكثر الكتابات في القرون الأولى من دخول الإسلام لها لم يحدد الرقعة الجغرافية بشكل دقيق الا بعد القرن السادس الهجري .

أما الملح الذي يعد من اهم السلع التي تاجر بها في بلاد السودان وكانت تجارته ذات أرباح طائلة حتى انها قد احتكرت على الملوك ومن ينوب عنهم في الحكم وهذا يبين مدى الحاجة اليه بشكل كبير فقد كانت تتم مقايضته بالذهب والعبيد فنجد المعلومات عنه في السودان الغربي واضحة نوعا ما بحكم علاقاتها التجارية مع بلاد البربر(الشمال الافريقي) التي افاض المؤرخون والرحالة بالكتابات عنها اذ لعبت المدن الصحراوية دور كبير في رواج تجارة الملح لمواقعها الاستيراتيجية أذ كانت محطات لكبريات القواف التجارية القادمة من الشرق وبلاد البربر كما ان لها درو هي الاخر في إيصال تبر السودان الى مناطقهم مما زاد في رواج هذه التجارة اذ تبين ان الشمال الافريقي قد عرف من خلال المصادر التاريخية بكثرة الملح لاسيما في مناطق مسوفة وجداله وفي الجنوب الافريقي كثر الذهب فهذا يفسر لنا توجههم نحو هذه التجارة وحكرهم لها فهم يقايضون الملح بالذهب لحاجة بلاد السودان ولاسيما السودان الغربي له

قائمة المصـــادر والمراجـــع:

كيرلانسكي. (2005م). *تاريخ الملح في العالم*. الكويت: عالم المعرفة.

البكري. ((1413هـ/1992م)). *المسالك والممالك*. بيروت: دار الغرب الأسلامي.

ابن الحكم. ((1994م).). *فتوح مصر والمغرب*. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

ابن بطوطة. (1417هـ/1996). *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*. الرباط: أكاديمية المملكة المغربية.

ابن خلدون. (1409هـ/1988م). *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر*. بيروت: دار الفكر.

ابن سعيد المغربي. ((1390هـ/1970م).). *الجغرافيا*. بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر.

الادريسي. ((1410هـ/ 1989م).). *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*. بيروت: عالم الكتاب.

التكتيك. (1998م). *مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الاسكيا محمد الكبير 1528\1493م*. ليبيا : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

الحميري. (1980م). *الروض المعطار في خبر الاخطار*. بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة.

الدالي. ((1409هـ/ 1988م)). *التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء*. بنغازي: اكاديمية الفكر الجماهيري.

الدالي. ((1409هـ/ 1988م).). *التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء*. بنغازي: اكاديمية الفكر الجماهيري.

السعدي. ((1384هـ/1964م).). *تاريخ السودان*. باريس: مطبعة هوداس.

الطحاوي. (2016م.). *التجارة الصامتة*. الكويت: بحث منشور مجلة العربي العدد690.

القزويني. (1426هـ/2005م).). *آثار البلاد وأخبار العباد*. بيروت : دار صادر.

القلقشندي. ((د.ت)). *صبح الاعشى في صناعة الانشا*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الكشاط. (1989.). *التوارق عرب الصحراء الكبرى*. مركز دراسات وابحاث شؤون الصحراء.

الناصري. ((1376هـ/1956م)). *لاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*. الدار البيضاء: دار الكتاب.

الهمذاني. (،1302هـ/1884م)). *صفة جزيرة العرب*. برلين : مطبعة ليدن .

الوزان. ((1404هـ/1983م)). *وصف أفريقيا*. بيروت: دار الغرب الاسلامي.

اليعقوبي(ت292هـ/904م). (1420هـ /1999م). *تاريخ اليعقوبي*. بيروت: دار الكتب العلمية.

باري. (2007م.). *المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة*. بيروت: دار الكتب العلمية.

باري. (2007م.). *المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة*. بيروت: دار الكتب العلمية.

حوتية. (2007م.). *توات والازواد*. الجزائر: ،دارالكتاب العربي للطباعة والنشر.

زبادية. (د. ت). *مملكة سنغاي في عهد الاسقيين (1493. 1591م)*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .

عبد الرحمن. (10 أبريل 2019م). *تجارة القوافل عبر الصحراء بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال نهاية العصر الوسيط*. الجزائر : بحث منشور،مجلة متون المجلد الحادي عشر ،العدد الأول.

عثمان. (2000م.). *التجارة مابين مصر وأفريقيا*. مصر: المجلس الأعلى للثقافة.

عميرة. (2008م.). *معدن ملح اوليل واستغلاله في العصور الوسطى*. القاهرة: بحث منشور ،مجلة الاتحاد العالم للاثاريين العرب ، العدد 9.

غيث. (د.ت.). *التاثير العربي الإسلامي في السودان الغربي*. ،بيروت : دار الرواد.

فرجاني. (2017). *تجارة القوافل بين بلاد المغرب وافريقيا جنوب الصحراء خلال القرن 19م*. الجزائر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية .

كاربخال. ((1405هـ/1984م).). *افريقيا*. الرباط: مكتبة المعارف الجديدة.

محجوبة. (2021/6/6م.). *الطرق التجارية والعلاقات الاقتصادية بين تونس والسودان الغربي خلال عهد الدولة الحفصية 15741228م*. الجزائر: بحث منشور ،المجلة التأريخية الجزائرية ،جامعة أحمد دراية أدرار.

نيان. (1409هـ/ 1988م). *تاريخ أفريقيا العام*. بيروت: المطبعة الكاثولوكية.

ولد الحسين. (2007م). *صحراءالملثمين وعلاقتها بشمال وغرب افريقيا منذ منتصف القرن الثاني الى نهاية القرن الخامس الهجري* . المغرب.

List of sources and references:

Primary sources

Al-Idrisi, Muhammad bin Muhammad bin Abdullah (d. 560 AH / 1164 AD), Nuzhat Al-Mushtaq fi Penetrating the Horizons, 1st edition, Alam Al-Kitab, (Beirut, 1410 AH / 1989 AD).

Ibn Battuta, Muhammad bin Abdullah bin Muhammad bin Ibrahim Al-Lawati alTanji (d. 779 AH/1377 AD), Tuhfat al-Nadhar fi Oddities of the Lands and Wonders of Travel, edited by: Tom Bremer, Academy of the Kingdom of Morocco, (Rabat, 1417 AH/1996 AD).

Al-Bakri, Abu Ubaid Abdullah bin Abdul Aziz bin Muhammad (d. 487 AH / 1094 AD), Paths and Kingdoms, edited by: Adrian van Leeuwen and Andre Ferry, Dar Al-Gharb Al-Islami, (Beirut, 1413 AH / 1992 AD).

Ibn al-Hakam, Abu al-Qasim Abd al-Rahman bin Abdullah (d. 257 AH/870 AD), Conquests of Egypt and Morocco, Library of Religious Culture, (Cairo 1994 AD).

Al-Himyari, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah bin Abdul Moneim (d. 900 AH / 1494 AD), Al-Rawd Al-Ma'tar fi Khabar Al-Aqtar, ed.: Ihsan Abbas, 2nd edition, Nasser Foundation for Culture, (Beirut, 1401 AH / 1980 AD).

Ibn Khaldun, Abd al-Rahman Muhammad bin Muhammad (d. 808 AH/1405 AD), Diwan al-Mubtada wa al-Khabar fi the History of the Arabs and Berbers and Their Contemporaries of Greater Importance, ed.: Khalil Shehadeh, 2nd edition, Dar al-Fikr, (Beirut, 1409 AH/1988 AD).

Ibn Saeed Al-Maghribi, Abu Al-Hasan Nour Al-Din Ali bin Musa (d. 685 AH / 1286 AD), Geography, ed.: Ismail Al-Arabi, 1st edition, Commercial Office for Printing and Publishing, (Beirut, 1390 AH / 1970 AD).

Al-Saadi, Abdul Rahman bin Abdullah bin Imran (d. 1066 AH / 1655 AD), History of Sudan, Hodas Press, (Paris, 1384 AH / 1964 AD).

Al-Qazwini, Zakaria bin Muhammad bin Mahmoud (d. 682 AH / 1283 AD), Antiquities of the Country and Akhbar Al-Ibbad, 1st edition, Dar Sader, (Beirut, 1426 AH / 2005 AD).

Al-Qalqashandi, Ahmed bin Ali bin Ahmed Al-Fazari (d. 821 AH / 1418 AD), Subh Al-A'sha fi the Construction Industry, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, (Beirut, d.d.).

Carvajal, Lamarmol, Africa, see: Muhammad Hajji et al., New Knowledge Library, (Rabat, 1405 AH/1984 AD).

Al-Maqrizi, Ahmed bin Ali bin Abdul Qadir (d. 845 AH / 1441 AD), Familiarity with News of the Abyssinian Kings of Islam, edited by: Abdel Naim Dhaifi, Al-Azhari Heritage Library, (Cairo, 1427 AH / 2006 AD).

Al-Nasiri, Shihab al-Din Abu al-Abbas Ahmad bin Khalid, Investigation of the News of the Countries of the Far Maghreb, ed.: Jaafar al-Nasiri and Muhammad al-Nasiri, Dar al-Kitab, (Casablanca, 1376 AH/1956 AD).

Al-Hamdhani, Al-Hasan bin Ahmed bin Yaqoub (d. 334 AH / 945 AD), Description of the Arabian Peninsula, Brill Press, (Leiden, 1302 AH / 1884 AD).

Al-Wazzan, Al-Hasan bin Muhammad, Description of Africa, Trans.: Muhammad Al-Hajji, Muhammad Al-Akhdar, 2nd edition, Dar Al-Gharb Al-Islami, (Beirut, 1404 AH/1983 AD).

Al-Yaqoubi, Ahmad bin Abi Jaafar bin Wahb (d. 292 AH/904 AD), History of Al-Yaqoubi, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, (Beirut, 1420 AH / 1999 AD).

Secondary references:

First: book

Barry, Muhammad Fadel Ali, Muslims in West Africa, History and Civilization, 1st edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 2007 AD

Tactic, Jamila, The Islamic Kingdom of Singai during the reign of Askia Muhammad the Great 1493-1528 AD, Libyan Jihad Center for Historical Studies, Libya, 1998 AD.

Houtia, Muhammad Saleh, Touat and Al-Azawad, Dar Al-Kitab Al-Arabi for Printing and Publishing, Algeria, 2007 AD.

Al-Dali, Al-Hadi Al-Mabrouk, The Cultural History of Trans-Saharan Africa, 1st edition, Academy of Mass Thought, (Benghazi, 1409 AH/1988 AD).

Zabadia, Abdul Qadir, The Kingdom of Singai during the Era of the Isqays (1493-1591 AD), D.D., National Publishing and Distribution Company, Algeria.

Othman, Abdel-Qawi, Trade between Egypt and Africa, D. I., Supreme Council of Culture, Egypt, 2000 AD.

Ghaith, Umtair Saad, Arab-Islamic influence in Western Sudan, Dar Al-Rowad, Beirut, D. T.

Ferjani, Asmaa, Caravan Trade between the Maghreb and Sub-Saharan Africa during the 19th Century AD, Faculty of Humanities and Social Sciences, Algeria, 2017.

Al-Kashat, The Tuareg Arabs of the Sahara, 2nd edition, Center for Studies and Research on Desert Affairs, 1989.

. Kirlansky, Mark, The History of Salt in the World, Translated by: Ahmed Hassan Maghribi, D. I., The World of Knowledge, Kuwait, 2005 AD.

Nyan, Gabriel Tamsir, General History of Africa, Catholic Press, (Beirut, 1409 AH/1988 AD).

Ould Al-Hussein, Al-Nani, The Masked Desert and its relationship with North and West Africa from the middle of the second century to the end of the fifth century AH, Morocco, 2007.

Second: Published research

Abdel-Rahman, Qaddouri, Trans-Saharan caravan trade between the Maghreb and Western Sudan during the end of the Middle Ages, published research, Mutoon Magazine, Faculty of Social and Human Sciences, Dr. Moulay Taher Said University, Algeria, Volume Eleven, First Issue, April 10, 2019 AD.

Al-Tahawi, Hatem, The Silent Trade, research published by Al-Arabi Magazine, Kuwait, Issue 690, 2016 AD. 15. Amira, Muhammad, Oleil salt mineral and its exploitation in the Middle Ages, published research, Journal of the World Union of Arab Archaeologists, No. 9, Cairo, 2008 AD.

Mahjouba, Abdul Qadir, trade routes and economic relations between Tunisia and Western Sudan during the era of the Hafsid state 1228-1574 AD, published research, Algerian Historical Journal, Ahmed Draya Adrar University, Algeria, 6/6/2021 AD.